"عَمَلِيَّاتُ العَقْلِ-المَفْتوح" (Open-Mind Surgeries) – حَلْقَة (25)

إذا كُنتَ مَعَنا؛ فأَنتَ "قِدِّيس"! وإلَّا... فأَنتَ "إبْلِيس"!

If You Are with Us, You Are a "Saint", Otherwise You Are a "Satan"

عزَّام محمد زقزوق*

ثبَت في السِّيرَةِ النَّبَويَّةِ الخالِدَةِ أنَّ عَبدَاللَّهِ بنَ سلامٍ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النبيِّ ﷺ المَدِينَةَ فأتاهُ يَسأَلُهُ عن أشياءَ... فأجابَهُ ﷺ عن مسائِلِهِ جميعًا، فخَتمَ المساءلَةَ بِقَولِهِ:

"**أشهَدُ أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ، ثُمَّ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اليَهُودَ قَومٌ بُهُتٌ** (جَمْع: بَهّات، أي: يُمارِسون البُهْتان: الكَذِب المُفتَرى!) **إن عَلِمُوا بإسلامِي قَبلَ أن تَسأَلَهُم بَهَتُوني عِندَكَ**. فَجاءَتِ اليَهُودُ، ودَخَلَ عبدُاللَّهِ البَيتَ (حاجِبًا نَفسَهُ عنهم) فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: **أيُّ رَجُلٍ فِيكُم عبدُاللَّهِ بنُ سَلامٍ**؟ قالوا: **أعلَمُنا وابنُ أعلَمِنا، وأَخيَرُنا وابنُ أخيَرِنا**. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: **أفَرَأَيتُم إن أسلَمَ عبدُاللَّهِ**؟ قالوا: **أعاذَهُ اللَّهُ مِن ذلكَ!** فَخَرَجَ عبدُاللَّهِ إليهِم، فَقالَ: **أشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأَشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ**. فَقالوا: **شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، ووَقَعُوا فِيه** (أي: سَبُّوهُ، وَعابُوهُ، وَاغْتابُوهُ... إلخ)!" (البُخاريّ)

لا يَخفى على مُتَأمِّلٍ أنَّ هذه الحالَةَ النَّبَويَّةَ الثابِتَةَ تَحمِلُ في طَيَّاتِها دُرُوسًا مُستَفادَة، صالحةً في/لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ...! ومِنَ المَعلُومِ أنَّ: **العِبْرَةَ بِعُمومِ اللَّفظِ لا بِخُصوصِ السَّبَب**.

ومِن هذِهِ الحالات **ظاهِرةٌ** بارزةٌ **تَوَرَّطَت** فيها الحَرَكاتُ الإسلامِيَّةُ المعاصِرَةُ خلال العُقودِ الماضِيَة؛ **حيثُ بَعضُ مَظاهِرِ الظُّلمِ الذي تَلَبَّسُوا به، وَأَوقَعُوهُ على الكَثيرِ من أَتباعِهِم؛ مِمَّن أَخَذُوا على عاتِقِهِم تَجَشُّم عَناءِ النُّصحِ، والنَّقدِ البَنَّاءِ، لمَسِيرَتِهِم... وسِيرَتِهِم...!**

وَهؤلاءِ النُّخبَة، من النَّاصِحِينَ النَّاقِدِينَ، **كانوا مِمَّن تَرَبَّوا وترَعرَعُوا أصلًا في مَحاضِنِ هذه الحَرَكات، وعَرَفَتهُم ساحاتُ العَمَلِ الدَّعَويّ، وَمَحافِلُ نُصرَةِ الإسلامِ**: الدِّين، والشَّريعَة، والمِنهاج... لا وبَل كانُوا مِن أَعلَمِ أَتباعِهِم وأَخيَرِهِم، بشهادَتِهِم هُم أنفسُهُم... وغيرُهُم!

وَعِوَضٌ عن تَقدِيرِ هذه الحَرَكاتِ لِنُصحِ هؤلاءِ النُّخبَة، وتَثمِينِ نَقدِهِم في إغناءِ المَسِيرَةِ وإنضاجِها... كانَ مِنهُم العَكسُ تَمامًا؛ حيثُ قامُوا بإعلانِ الحَربِ عَلَيهِم، وَالوُقوعِ فِيهِم... بُهتانًا و"شَيْطَنَة" (Demonizing). كَمِثل مُمارَساتِ: **اغتِيالِ الشَّخصِيَّة** (Character Assassination)! أو **تَلطِيخِ سِيَرِهِم وتَقزِيمِ أدوارِهِم**! أو **الاصطِيادِ في مائِهِم، وتَضخِيمِ أخطائِهِم**! أو **مقاطَعَتِهِم وإقصائِهِم**، أو دَمْغِهِم بـ: "**المُتَساقِطِينَ عَلى الطَّرِيق**"! دُونَ تَكلِيفِ أَنفُسِهِم، وَلَو مَرَّةً واحِدَةً، بِمُراجَعَةِ سَقْطاتِ هذا الطَّرِيق...!! وَعَدَمِ أَهلِيَّتِهِ في الوُصُولِ وَالتَّوصِيل!!

يا للأَسَف! لقد مارَسُوا كُلَّ **الممارَساتِ** إلَّا واحِدَةً؛ وهي **الإنصاتُ للنُّصحِ، والاستفادَةُ من النَّقدِ**، على مدى عُقُود!

لا أنسى في حَياتي حِواراتٍ صادِقَةً مع أحَدِ ناشِطِي هذه الحَرَكاتِ وَالمُوالِينَ لها: عاطِفِيًّا، ونَفْعِيًّا، وتَوَجُّهًا نَفسِيًّا عَقلِيًّا (Attitude)... حيث سارَرْتُهُ بِحالِهِمُ الذي يُرثى له... وتَرَدِّيهِمُ الذي يعِيشُونه... فما كانَ مِنهُ إلَّا أن رَدَّ عَلَيَّ مُنذِرًا ومُحَذِّرًا: **إن مَضَيتَ بِنَقدِك هذا فَسَوف يُدَمِّرُونَك!** آلَمَتْني عِبارَتُهُ، وما زالَت؛ بما تَضَمَّنَت من دَلالاتٍ مُوجِعَةِ التأثير... ومُفجِعَةِ الأثر...!

أمَّا **أبرزُ أسبابِ هذِهِ الظاهِرَةِ** في واقِعِ الحَرَكاتِ الإسلامِيَّةِ المعاصِرَةِ، وبالذات الفِلَسطِينِيَّة منها! فهي: **أُحادِيَّةُ التَّفكِيرِ والرَّأي**... واستِشراءُ **غَرِيزَةِ القَطِيعِ** (Herd Instinct) في واقِعِهِم... **وَالتَّعالي وشُعُورُ التَّفَوُّقِ المُتَّسِمِ** بِسُلُوكِ التَّواضُعِ واللُّطفِ (Condescension)!! لاعتِبارِ أنهم بِبَيتِ المقدِسِ وأَكْنافِهِ (تَأثُّرًا بالزِّيادَةِ الحَدِيثِيَّةِ **الضَّعِيفَةِ المُنكَرَة**: "قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ؛ وَأَينَ هُم؟ قالَ: بِبَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَكنافِ بَيْتِ المَقْدِس") **وَاقتِرانُ ثَقافَةِ التَّابِعِيَّةِ وَنَزعَةِ التَّنفِيذِ عِندَ المجتَمَعِ الفِلَسطِينِيِّ بِتَربِيَةِ طاعَةِ...! وَجُندِيَّةِ...! حَرَكَةِ الإخوانِ المُسْلِمِينَ**، خِلالَ أكثرَ من نِصفِ قَرنٍ؛ حَيثُ أفرزَت تِلكُمُ التَّربِيَةُ مُنَظَّماتٍ إسلامِيَّةً؛ **طَغى فِيها وَتَغَلَّبَ جِهادُ العَمَلِ** وَالسِّنانِ! عَلى اجتِهادِ **العِلمِ** والبَيان!!

أمَّا غايةُ مَقالي هذا فهِيَ دَعوَةُ هذِهِ الحَرَكاتِ، وَما حَوَت من أتباعٍ... وأنجَبَت من مُنَظَّماتٍ... إلى **عَمَلِ مُراجَعاتٍ جادَّةٍ**... **وَالكَفِّ** عَنِ **استِمْراءِ مُمارَسَةِ دَورِ الضَّحِيَّةِ** (Self-Victimization)! **وَبَدءِ ثَوراتٍ** بَيضاءَ ذاتِيَّةٍ! **وَاستِبْداعِهِم إستراتِيجِيَّاتٍ مُستَقبَلِيَّةً نَهضَوِيَّةً! وَإلَّا... فإنَّ خَرْقَهُمْ قد باتَ يَتَّسِعُ عَلى راقِعِهِم!!**

كنتُ وما زلتُ أرجو لهُم... ومِنهُم... **الاتِّعاظَ بِالدُّرُوسِ المُستَفادَةِ! والتَّعَلُّمَ! بِما يُعرَفُ بِـ "الطَّرِيقَةِ السَّهْلَةِ" (Softway)! لا أن يُجبَرُوا على ما يُعرَفُ بِـ "الطَّرِيقَةِ الصَّعبَةِ" (Hardway)! فالشَّقِيُّ مَن اتَّعَظَ بِنَفْسِه!!**

وَالخُلاصَة؛ أنَّ كثيرًا مِمَّن لَيسُوا مَعَ الحَرَكاتِ الإسلامِيَّةِ المعاصِرَةِ **لا يُعَدُّون "أَبالِيسَ/أَبالِسَة" في ميزانِ الشَّرعِ الإسلامِيِّ، وإن كانُوا كذلِكَ في مِيزانِ هذِهِ الحَرَكات**... قالَ رسولُ الله ﷺ: "**إنَّ أَوْثَقَ عُرى الإيمانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي الله**" (صَحِيحُ التَّرغِيبِ والتَّرهِيب) وَعَلَيهِ؛ فإني أُهِيبُ بأبناءِ هذه الحَرَكاتِ وَأتباعِها **نَزْعَ حَصاةِ التَّعَصُّبِ الحِزبِيِّ مِن أَحذِيَتِهِم وَالانطِلاق**؛ فَإنَّ رِياحَ التَّغيِيرِ وَأَمواجَهُ... قَد أَغرَقَت غالِبِيَّتَهُم...! وَستُغرِق بَقِيَّتَهُم...! وَسُفُنَهُم!!

"**... أَفَرَأَيتَ إذا كانَ ظالِمًا كَيفَ أَنصُرُهُ؟** قالَ ﷺ: **تَحجُزُهُ** (أو **تَمنَعُهُ**، أو **تَأخُذُ فَوقَ يَدَيه**!) **مِنَ الظُّلمِ؛ فَإنَّ ذلِكَ نَصرُه**" (البُخارِيّ) إنَّ نَصرَ أَخِي **مَظلُومًا** بَيِّنٌ وَمَعلُومٌ... لكِن ما يَنبَغِي تَبيِينَهُ بِجَلاءٍ أَنَّ نَصرَهُ **ظالِمًا!** بِالحَجزِ وَالمَنعِ... **لا يَتَطَلَّبُ استِئذانًا! أو تَرَجِّيًا!!** مِنهُ.

اللهُمَّ! أَرِنا الحَقَّ والصَّوابَ والصَّحِيحَ حقًّا وصَوابًا وصَحِيحًا، وارزُقْنا اتِّباعَه!

التاريخ: 02، جُمادى الآخِرَة (06)، 1443هـ
الموافق: 05، يناير (01)، 2022م

*مستشارومُدَرِّب وإستراتيجِيّ إدارة مشروعات